

ومن يطلب الأمر البعيد ويهمل ال ... قريب يضع أمره بعد حصول
 أنظمتنا نفسي الآن والماء في يدي ... وأترك للأفكار بل غنيتي
 فلا تتوانوا إنما الوقت فرصة ... تمرُّ ومرُّ الوقت غير ثقیل

مصطفى صادق الرافعي

على رمل الاسكندرية

إيه أيتها الأمواج الخالدة كم شاهدنا من أمواج الإنسانية ومن بحورها الفنية.
 أمام عيونك الزرقاء وفي ظل ابتسامتك الفضية كم تبخر بحر ونضب وكم تبددت
 تحت أقدامك موجة هادرة شامخة من أمواج البشرية.
 على هذا الساحل الذهبي الجميل قاتنت المنوك قديماً فتغنت بأخبار مواقعها أرباب
 الفنون ورددت صدى غزاتها ألسن الشعراء.
 بالقرب من صدى هديرك الهائل هاجت أمواجهم وماجت فعادت إلى حيث لا تبلغ
 مدك ولا تبصر عيونك الرمل والصخور.
 عادت أمواج أنفسهم المضطربة إلى حيث لا تبع إلا تبعك الدافق من ميازيب ذهبية في
 بساطين من النور الأزلي الروحاني
 هناك تبعك أيتها الأمواج وهناك أيضاً تبع الإنسانية.
 أنت هجرت قديماً في صدر الإسكندر فجئت به إلى هنا ليبنى لك هذه المدينة الزاهرة.
 أنت حمّنت أنطونيوس إليها ليطفي لوعة غرامه.
 أنت منحت القيصر قسطاً من عظمتك فخاض عبايك طبعاً بمحك عظيم بل شغفاً
 بوجهه وسيم.

وأراك الآن هائجة في قلوب الصغار والأذلاء كما هجت قديماً في قلوب الملوك
والأمراء.

أراك مضطربة مبتسمة معاً إذ تشاهدين على ساحلك هذه الأمواج المزروجة من بحر
الإنسانية.

هي تتنازع على الرمل في كنف الصخور فتزجج في بطن أمك.
هي أمواج من النفس يحن بعضها إلى بعض ويهيج بعضها على بعض ويختفي زبد
الواحدة تحت زبد الأخرى ويدوب زجر الهائجة تحت مد المدبرة.
الحب أيتها الأمواج يؤيدك.

والحب يحمل إليك هذه الأمواج القنقة الغانية.
ومهنها عظم اضطرابها على سواحك الذهبية فراحتها أخيراً تحت ابتسامتك الفضية
الأزلية.

لا تعجبي من هياج هذا الإنسان واضطرابه فما هو سوى طوائف من الأسماك
والحيوانات البحرية تحتبط في بحر النفس لا يرى مدينتنا من المدن الكائنة تحت
أمواجك.

أيها البحر العائل أيها الرقيب الأزلي وفيها من الحيتان والدلافين ما يزري بحيتانك
ودلافينك.

فيها يهدر بحر من هذه الإنسانية المتكالبية.

لكل موجة صوت لا يشبه أخاه.

لكل موجة شكل ومنهج وعبوسة وابتسامة.

هذه الاسكندرية وفي بحرهما تشاهدين الآن ما لم تشاهديه فيما مضى من الزمان .
 أمامك الآن أمواج مزبدة من نهر التايغس الهادئ . وأمواج هادئة من نهر المسيسي
 المتدفق وأمواج كرواسي الجبال من نهر الرون والرين والدانوب والسين . وأمواج
 عذبة لطيفة من بحر الأحمر وبحر الهند وبحر فارس .

هي الأمواج يتلاطم بعضها ببعض ويمتزج بعضها ببعض ويتنع بعضها بعضاً ويقتل
 بعضها بعضاً أو يعطف بعضها على بعض والكل يهلك نفسه في هذه الحركة الدائمة .
 في هذا العراك الشديد والضجيج المديد .

يشيدون الصروح ويهدموها . ويؤسسون المنازل ويبيدونها . فيتلاشون أخيراً تحت
 أقدامك . وأنت باسمة ضاحكة تسخرين منهم وأمواج منك كالظلل تحمل إليهم نياً
 الأبدية .

بحر الإنسانية يفيض ويزبد ويهيج ويهدأ ويتبخر ويتصب ويعكر ويرسب ويتلاشى
 وأنت باقية إلى الأبد .

تشاهدين هذا الزمان كما شاهدت أباطيل الأزمنة الغابرة .

تسعين ضجيج أبطال هذا الجيل في البورص كما سمعت صليل رماح أبطال الأجيال
 الماضية في ساحات القتال .

وتستقبلين الشمس كل مساء كما تستقبلينها يوم لم يكن على سواحنك مدن ولا
 عمران ولا نبت ولا حيوان .

لبنان

أمين الريحاني